التمهيد

التعريف بالاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر

أولًا:

أحوال العالم الإسلامي قبيل ظهور الاتجاه العقلي الإسلامي الحديث.

عانى معظم العالم الإسلامي في القرنين الماضيين من التخلف والتراجع في جوانب متعددة، من أهمها:

1. الميدان الديني:

وقع الانحراف في مفهوم الإيمان؛ وانتشر الفكر الإرجائي الذي يُخرج العمل من مسمى الإيمان، وأصبح التوحيد عند كثير من المسلمين هو فقط إثبات وحدانية الخالق، وأنه لا شريك له في الربوبية، فُصرفت العبادة لغيره سبحانه، ووقع الانحراف في عقيدة القضاء والقدر، فُفهم على أنه الرضا بذلك الواقع المنحرف والاستسلام له.

2. التقاعس في الأخذ بأسباب القوة المادية:

ظهر الأثر السيئ للفِرَق الضالة، فالاتجاه الصوفي أهمل عمارة الأرض وتنميتها، وتكاسل الناس عن تنظيم حياتهم وانعدمت الرغبة تمامًا في أي إبداع حضاري مادي وتنظيمي.

وأمام التسارع الكبير في تقدم الغرب تولَّدت قناعة لدى بعض الزعماء بضرورة الأخذ عن الدول المتقدمة؛ فحرص بعضهم على إرسال البعثات التعليمية إلى أوروبا، واستقدموا الأساتذة الغربيين للتدريس في المعاهد العلمية، ولم تخل تلك المحاولات من تَبِعات سلبية ساهمت في تغريب المسلمين خاصة مع المأزق الشديد الذي وقع فيه بعض أهل الفكر ودعاة الإصلاح بين زخرف الحضارة الغربية وتعاليم الدين، فرأوا أن لا سبيل إلى تحقيق الحضارة إلا بالتوفيق بينهما، وانزلقوا في مخالفات شرعية خطيرة.

3. مجال التعليم:

ظهر في كثير من بلاد المسلمين الخلل في تدريس العلوم الدينية خاصة؛ حيث أصابتها الرتابة والجمود، وتحولت قضايا العقيدة إلى معضلات ذهنية ومجادلات فلسفية عند الخاصة، ومزيج من الخرافات والأساطير عند العامة. ومن الخلل أيضا تعطيل الاجتهاد وأثر ذلك في تأخُّر الأمة.

بداية ظهور هذا الاتجاه:

يمكن تحديد بداية هذا الاتجاه منذ قرنين تقريبًا، في الفترة التي ظهرت فيها دعوة الشيخ محمد عبده -المؤسس الأول للاتجاه العقلي في العصور المتأخرة- وقد رفعت دعوته شعار التجديد في الدين، ومارست أسلوب تقريب أحكام الإسلام من المدنية الغربية، وخاضت غمار التأويل في كثير من نواحي الدين.

أهم مناهج التغيير التي عرفت في العصور المتأخرة:

1. أصحاب المنهج السلفي:

يرى أصحابه أن سبب تخلف المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وشيوع البدع والخرافات بين الناس، وقد جعلوا على رأس أهدافهم تنقية الدين مما ألحقته به الطوائف الضالة من تعقيدات وبدع، والعودة إلى منابع الإسلام الأولى وفق فهم السلف الصالح، وقد تمثل هذا المنهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

أهم مناهج التغيير التي عرفت في العصور المتأخرة:

٢. أصحاب المنهج التغريبي:

الذين جعلوا الاقتداء بالغرب وحضارته الفكرية والمادية منطلقًا في محاولتهم التغيير والنهوض بأوطانهم وشعوبهم، وتجاهلوا الإسلام بالكلية، من أمثال كمال أتاتورك من الزعماء، ومن أمثال طه حسين من المفكرين.

أهم مناهج التغيير التي عرفت في العصور المتأخرة:

٣. أصحاب المنهج التلفيقي:

يجتهد أصحابه في إضفاء الشرعية على كثير من مظاهر الحضارة الغربية، ومحاولة التوفيق بينها وبين الدين، معتمدين على مكونات تاريخ المسلمين، وتوسيعهم لمفهوم التراث الإسلامي ليشمل الآراء الشاذة ومقالات الفرق الضالة، وعلى رأسها المعتزلة التي يثنون على مناهجها ويدافعون عنها، مع اعتماد أكثرهم على دراسات المستشرقين، ويمثل هذه الفئة الاتجاهات التي تقدم العقل على النقل، ومن أبرز رواد هذا الاتجاه الشيخ محمد عبده.

مراحـــل ظهـــور الاتجـــاه العقلانـــي الإسلامي المعاصر

المرحلة الأولى:

بـدأت مـع اتصـال المسـلمين بالحضـارة الغربيـة عـن طريـق البعثـات التعليميـة التـي تـأثر أصـحابها بمـا شاهدوه في المجتمعات الأوروبية، ثـم عـادوا بأفكـار جديدة لا تتفق مع المفاهيم الإسلامية.

شهدت انشغالًا بمظاهر المدنيَّة الغربية، ومهَّدت لمن بعدها أن ينظر في تراث المسلمين نظرة المرتاب المغلوب، الذي ظن أن بلاءه في التزامه بنصوص الشريعة، مع وجود محاولات لإبراز بعض آراء المعتزلة التي تتفق مع الثقافة الوافدة، وظهرت آراء جديدة شغلت الفكر الإسلامي كالقومية والوطنية والحرية وعمل المرأة ومنع تعدد الزوجات والاختلاط وغيرها.

المرحلة الثانية:

أصبح تأثير الحضارة الغربية يظهر أكثر قوة وفاعلية في بلاد المسلمين، كما أن نفوذ الاستعمار الغربي قد تغلغل، وكانت أعظم وسيلتين اعتمد عليهما المستعمر هما: مناهج التعليم، ووسائل الإعلام.

وللمستشرقين الذين تعاونوا مع الاستعمار جهد خطير؛ حيث دأبوا على تشويه صورة الإسلام والتشكيك فيه من خلال:

١

الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة، وهدم هيبتهما في نفوس المسلمين.

٢

الزعم بأن الإسلام هو ظاهرة يجب أن تدرس في إطارها الزمني المحدد وليس له علاقة بالواقع المعاصر.

٣

الـــزعم بـــأن الإســـلام طقوس وشعائر روحية، لا دخل له بأمور الحكم والاقتصاد، وسائر جوانب الحياة.

٤

بَعث الحركات الهدامة والطوائـــف الضـــالة، وتضـــخيم أدوارهـــا وإلباسها لباس التطور والتقدمية والثورية وعلى رأس ذلك المعتزلة.

فحمل بعض المنهزمين على عاتقهم في هذه المرحلة تطوير الإسلام لكي يوافق الحياة العصرية عن طريق استنباط أحكام تتوافق مع متغيرات العصر، وتعطيل ما رأوا أنه لا ينسجم مع المدنية الحديثة تحت شعار التجديد أو الاجتهاد. وهذا ما حدث على يد سيد أحمد خان في الهند وعلى يد محمد عبده ومدرسته في مصر.

الشيخ محمد عبده

تأثر بفكر جمال الدين الأفغاني الذي كان له اهتمام بالفلسفة وعلم الكلام والفِرَق، وصار محمد عبده فيما بعد إمامًا لمدرسة ضمت طلابه والمتأثرين بفكره، وعرفت بـ(المدرسة العقلية الحديثة).

وقد أفرز هذا التأثر من عبده بالأفغاني توافقهما في ضرورة التحرر من قيود النص في كثير من قضايا الدين، والعمل بمنطق العقل على طريقة الفلاسفة والمتكلمين، وسار تلاميذ محمد عبده والمتأثرين بهم على طريقته في تطويع النصوص لمسايرة الواقع والمدنية الغربية، مستعينين في ذلك بالمنهج التأويلي الذي يُعد المعتزلة من أبرز رواده.

المرحلة الثالثة:

تعد استمرارًا للمرحلة التي قبلها وحتى يومنا، وأصحابها يجددون آراء من سبق ويعرضونها بقوالب جديدة. وتتميز هذه المرحلة عن سابقتها بما يلي:

١ تحقيق كثير من مصادر المعتزلة والفرق الضالة الأخرى ونشر الدراسات التي تضخم من أثرها في النهضة والإصلاح.

٢ زيادة الترجمة للكتب والدراسات الغربية، وظهور مؤلفات المستشرقين ودراساتهم حول المعتزلة.

٣ التطور الكبير في عالم الاتصالات ونقل المعلومات.

٤ تبني بعض جماعات الدعوة، ومؤسسات فكرية ذات طابع إسلامي لهذا الاتجاه، ودعوتها إليه، ودعمها له، وتشجيعها عليه.

من أمثلة الجماعات التي ساهم
بعض رموزها في تعزيز هذا الاتجاه:

١. جماعة الإخوان المسلمين:

أسسها الشيخ حسن البنا عام ١٩٢٨م، ومن بعض المآخذ على طريقة رموز الجماعة: الاضطراب في فهم حقيقة التوحيد، وغيابه عن الخطاب الدعوي، ووقوع بعضهم في أخطاء عقدية تتعلق بتوحيد الألوهية والأسماء والصفات، ومفهوم الإيمان، وأحاديث الآحاد، والموقف الشرعي من البدعة.

وكذلك القول في الجماعات المتفرعة عنها، حيث كان التأثر بمنهج المعتزلة واضحًا على بعض مؤسسيها، كالجبهة الإسلامية القومية في السودان التي أسسها حسن الترابي، وحركة الاتجاه الإسلامي في تونس، والتي أسسها راشد الغنوشي والمعروفة باسم حزب النهضة.

٢. حـــــزب التحرير:

أسسه تقي الدين النبهاني عام ١٩٥٢م، ومن أهم ملامحه الفكرية: أنّ أول واجب على جماعة المسلمين هو إقامة دولة الإسلام عن طريق الثورة الفكرية السياسية، وبعث بعض عقائد الفِرَق الضالة وعلى رأسها المعتزلة، ووقوعه في آراء فقهية شاذة.